فكرة ورأي

سلطة ذكورية.. سلطة انوثية وما بينهما العنف!

محمد درويش علي

لكن المجتمعات المتحضرة، انتهت إلى هذه الحالة غير الموضوعية، وجعلت المعادلة صحيحة حينما منحت المرأة حقها في تقرير مصيرها والاتيان بما يجعل منها كائنا متفاعلا يعي حقيقة الدور المرهون والمناط به

من تأثيرات المجتمعات والتكوينات الاولى في التاريخ هيمنة الرجل بصفته سلطة ذكورية، على المرأة بصفتها سلطة انوثية وهذه الحالة لم تتوقف في مرحلة من مراحل التاريخ الاخرى، وانما امتدت وباتت هذه الهيمنة كأنها امر مفروغ منه او امر واقع لا محالة ولم يكن تأثيرها مرحليا على المرأة بل جعلت منها سلطة تقبل بكل شيء من الرجل ومرات تتمرد عليه لتنال ما تريد، وهو جزء من متطلبات الحياة التعادلية المرجوة من اجل ديمومة المجتمع لكن الرجل هو الآخر بقي ضمن سلطة الهيمنة، لا يستطيع التخلي عنها، او تركها للمرأة كونه السلطة المطلقة التي ينبغي ان تسود حسب مفهومه.

وبقيت المعادلة غير موضوعية في نظر المرأة وموضوعية في نظر الرجل سائدة لا تريد ان تتغير او تتبدل او تكون هنالك سلطة معادلة تمنح الطرفين حقهما ومكانتهما وافرزت العنف لدى الرجل.. العنف بكل اشكاله وصفاته سواء في ممارسته بشكل عملي او بشكل ضمني ما جعل المرأة تتخذ صفة المقاومة حينا والخضوع حينا آخر حتى بات عدد كبير من النساء يشعر بأن حقه الطبيعي هو في الخضوع والانكسار والتحمل وليس في المقاومة والحالة هذه خلقت تأثيرها السلبي على حياة المرأة وجعلت منها كائناً مستلباً لا يعي حقيقة دوره في الحياة وظل المجتمع قياسا إلى هذا يتعكز على رؤية احادية هي رؤية ذكورية، وسلطة مطلقة لا تقبل التغيير وعندما يكون الامر على هذه الشاكلة فان تأثيراته السلبية تكون كثيرة ولا يكون هناك من بديل، سوى الاستسلام للامر الواقع، والعمل بأحادية لا تنفع في خلق موازنة حقيقية لادامة صيرورة الحياة المطلوبة وكان الرجل في كل مرحلة من مراحل التاريخ لكي يثبت هيمنته الذكورية وقدرته على اثبات وجوده، يلجأ إلى العنف مع جزئه الآخر او نصفه الآخر، وهذا العنف الذي لجأ اليه الرجل، كسلطة اخرى لتثبيت سلطته الاولى، وهي السلطة الذكورية ولد الاحباط والشعور بالدونية لدى المرأة وجعلها كائناً معطلاً عن اداء دوره في مراحل الحياة المتباينة لكن الرجل دائما كان يسعى لتعزيز روح العنف بروح الهيمنة لديه كي لا تفلت منه فرصة بسط النفوذ، وتركها للمرأة.

لكن المجتمعات المتحضرة، انتهت إلى هذه الحالة غير الموضوعية، وجعلت المعادلة صحيحة حينما منحت المرأة حقها في تقرير مصيرها والاتيان بما يجعل منها كائنا متفاعلا يعي حقيقة الدور المرهون والمناط به، وتم بذلك اشراك المرأة في جميع مجالات الحياة، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مع الرجل لخلق الموازنة المطلوبة في ديمومة عملية التواصل التعادلي في الحياة.

لذلك حصل التطور في تلك المجتمعات وبقي التخلف عندنا سائدا لاعتمادنا على هذا المفهوم الخاطئ، واثبتت تجارب التاريخ عبر مراحله الطويلة، ان المجتمعات التي فيها للمرأة دور مهم وكبير هي مجتمعات متحضرة وتحمل عوامل ديمومتها معها أي انها لا تتوقف عند مرحلة معينة بل تسير من تطور إلى تطور لانها تسعى او تحلق بجناحين، جناح المرأة وجناح الرجل، اما مجتمعاتنا التي تنظر إلى المرأة نظرة فلاحية فانها تبقى ضمن دائرة ضيقة دائرة تختنق يوماً بعد آخر. ولو عدنا إلى بعض مراحل حياتنا، ولنأخذ المجتمع الفلاحي مثلا، فان الرجل يفضل في زواجه المرأة التي تصغره بسنوات، كي تكون زوجة له ليست نداً له، وانما لتكون خادما له حينما يشعر بالعجز لكي تديم له حياته.

أما هذا الامر فلا تفكر فيه المجتمعات المتحضرة او الساعية إلى التطور، والرجل هناك يفكر بالمرأة التي تكون ندا له لا خادمة له.

ونحن الآن في توجه جديد، وفي رؤية جديدة للمرأة ودورها، انه بإمكاننا خلق هذه المعادلة الموضوعية، والسعي إلى ايجاد منافذ تطل منها المرأة على الحياة بشكلها الواسع الرحب؟

في اعتقادنا ان الامر يحتاج اولا إلى تحرير الرجل من افكاره، ومن الهيمنات التي تجعل منه عنصراً ميالاً الى العنف في تعامله مع المرأة اما المرأة فهي متحفزة وتعرف حقيقة دورها فبمجرد فسح المجال لها، فانها ستكون في المقدمة، وتخلق المعادلة الموضوعية مع نصفها الآخر الرجل!

"الإعلام المؤدلج هو ذلك الإعلام المتشرب في منطلقاته وسياساته وتوجهاته بصبغة آيديولوجية تشحنه على الدوام باراء وأحكام مسبقة منحازة، من دون أي اعتبار لقيم الحقيقة، ومعطيات الواقع والتاريخ، فهو يرى الواقعة، كما يريد ويشاء، لا كما هي في حقيقة الأمر، وتلك هي سمة إعلام الأنظمة الشمولية والاستبدادية والفاشية. لكن، في الوقت نفسه، نجد أن إعلام الغرب الرأسمالي، لا يخلو هو الآخر من مسحة آيديولوجية، وأحياناً، في حالات ما، يكون مشبعاً بالآيديولوجيا غير أنه حاذق بفعل ما يملك من تقنيات وأساليب ومناهج وحيل في إخفاء موجهاته تلك، إلى حد بعيد، كي يبدو موضوعياً، حراً، وغير منحاز بالمرة."

الإعلام المؤدلج وتأصيل منطق الهزيمة

سعد محمد رحيم

عمال في احدى المطابع

إن كلاً من الإعلام المرتبط بكيان دولة ونظام حكم، والإعلام المرتبط بمؤسسة اقتصادية أو سياسية، والإعلام ذي الهدف التجاري لا يستطيع الإفلات من تأثيرات مالكيه، أو القائمين عليه، حتى إن لم يكونوا من رجال الإعلام، أو يفقهون شيئاً في فن الإعلام. وعموماً فما يفعله الإعلام المؤدلج ليس البحث عن الصحيح والإعلان عنه، بل الإيهام بما هو صحيح، ولا يطوله الشك. كما يستخدم آلية خبيثة هي التي توهم بأن الخطأ والخطيئة مصدرهما التطبيق، وليس لأن الآيديولوجيا نفسها مختلة، أو غير واقعية، أو متناقضة، فيعزو العلة فيهما (الخطأ، والخطيئة) إلى مؤامرات الأعداء، أو خيانة الخائنين.

وإذا ما عدنا إلى خطاب قطاع واسع من الإعلام العربي نجد أنه يستمد عناصره ومنطلقاته، غالباً، من نظرية المؤامرة، تلك النظرية التي تقول؛ إن الغرب لا يشغله شيء سوى العمل الجاد في الخفاء والعلن لتدميرنا. وإن كل ما يحصل لنا من كوارث ومآس ونكبات وفشل تنموي وهزيمة حضارية سببها أولاً وأخيراً الغرب، أو بالأحرى مؤامرات الغرب.. وهذا ما يجعلنا في حالة مستديمة من الشك وانعدام الثقة بالآخر، ومن ثم انقطاع أي نوع من التواصل الفعال معه، ناهيك أنه يمنحنا اطمئناناً كاذباً، وقناعة بأننا مبرأون من كل سوء، ولا خلل فينا، وإننا لم نخطئ قط، (هذا لا يعني أنه ليس للغرب الرأسمالي أجندته ومصالحه وإستراتيجياته التي يعمل ويحدد علاقاته مع العالم في ضوئها، حتى إن تقاطعت مع مصالح الأمم الأخرى وأضرت بها). يقول محمد أركون "الآيديولوجيا قتلت العرب" وأحسب أن أركون يقصد بالآيديولوجيا، تحديداً، ذلك الوعي الزائف المتجذر الذي يعيق أي إمكانية لمعرفة موضوعية تاريخية سليمة، يرى الذات والعالم بعين جولاء أو مصابة بالاستكماتزم، تُظهر الذات مبرأة من كل سوء، بينما تضع في الآخر السوء كله.

ها هنا، تحولت الآيديولوجية من شكلها المعرفي إلى واقع سلطة حينما وظفت وكيفت واستثمرت الرأسمال الرمزي للمجتمع العربي لتكريس هيمنة فئات معينة، هي التي تاجرت بقضايا الأمة دعائياً وإعلامياً وأساءت إليها في واقع الأمر. وبذا لم تكن تعيد إنتاج الآيديولوجيا ذاتها فحسب، وإنما تعيد إنتاج ما يتمخض عنها، أو عن الممارسات التي تجري بوحيها من فشل وانكسارات وهزائم. فكانت أناشيد وخطب النصر تخفي وراءها إقراراً لا واعياً بالهزيمة، كما أن ادعاءات أفضلية الأنا على الآخر انطوت، على الدوام، على شعور طاغ بالنقص والدونية. وفي هذا الإطار بقيت مجموعة من القيم والأفكار يعاد إنتاجها بطريقة ميكانيكية مبتذلة عبر قنوات الثقافة والإعلام مؤصلة وعياً زائفاً هو الذي يمكن تسميته بـ "آيديولوجيا الهزيمة". وهذه الآيديولوجية تسوّغ الفعل الخاطئ بدلاً من نقده، واضعة إياه في سياق افتراضي موهوم، لإرضاء البعد النرجسي الفارغ في الذات. والخطأ، هنا، يولّد الخطأ، أي يعيد إنتاجه، ويراكمه.

يمارس الإعلام المعاصر قدراً من التنويم المغناطيسي على متلقيه الذين ينقادون بحكم الاسترخاء الذهني، أو الثقة العمياء، أو التدفق ذي البعد الواحد للمعلومات والأفكار، إلى الاستسلام لما يضخ لهم في قوالب محكمة وبراقة. وما حصل مع الإعلام المرئي، الذي يسيطر على المجتمع الإعلامي، إلى حد بعيد، هو تكريس الاستقبال اللانقدي للمعلومات والأفكار عند المتلقين. فالآليات التي يعمل بها الكثير من الفضائيات العربية، اليوم، هي التجييش الانفعالي سياسياً، والتأكيد على العابر والسريع والجزئي والمبتذل في الحقول الأخرى. فهو إعلام لا يؤسس لذاكرة، بقدر ما يفتح مسارب للنسيان. وبعبارة أخرى فإن ما تجري إشاعته هو ثقافة النسيان، إن صح أن نقرن النسيان بالثقافة. وإذا ما كانت ثمة استثناءات، من قنوات وبرامج فإنها تفتقر إلى الجاذبية، والطرق الفنية المبتكرة التي تستحوذ على اهتمام الأغلبية من المتلقين. فالإعلام العربي يستعير مبتكرات الغرب الحديثة تقنياً، وقد يقلد بدرجات متفاوتة من الإتقان أشكال وبرامج وصيغ الإعلام الغربي، لكنه يبقى في صناعة المحتوى تقليدياً، فهو لا يزال يعيد إنتاج أفكار منتصف القرن الماضي، وما يخص مرحلة الحرب الباردة. ويخطر على البال حالاً في هذا المقام برامج تقوم على المساجلات الانفعالية والمهاترات في أغلب حلقاتها التي يحضر فيها كل شيء إلا العقل، فتضرب على الوتر العاطفي، وتنحاز لاتجاه دون آخر، بشكل ظاهر أو خفي. فهي إذن تشبع غرور الوثوقيين الذين، نتيجة التربية والإعلام العربيين، يشكلون نسبة لا يستهان بها من السكان، وبالتالي فمثل هذه البرامج تفضي إلى الكسل الفكري والاطمئنان الكاذب إلى ما تسمى بالثوابت، أو المبادئ غير القابلة للمراجعة أو التمحيص العقلي/ النقدي، التي تتاجر بها طلاب السلطة والجاه والامتيازات والمصالح. فهذا إعلام لا يهيئ فرصة لإعادة النظر بمواقف الذات حتى إن كانت غاطسة في مستنقع من الأخطاء والخطايا والحماقات، ولا يتيح رؤية مرنة وواقعية للمعطيات، ولا يساعد، أو أنه يعيق تحقيق المصالح العليا للمجتمع.

إن خطاب هذا القسم من وسائل الإعلام العربية يبدو، للوهلة الأولى، ناقداً للوضع الراهن وللسلطات القائمة، لكنه في حقيقة الأمر، متواطئ معهما في جوانب كثيرة.. إن هناك خشية، دائماً، من أي تغيير أو إصلاح حقيقي بحجج شتى، ليس أقلها؛ (حذار، هذا ما يريده الإمبرياليون!!).

خلق الإعلام المؤدلج في منعطفات خطرة من تاريخنا رأياً عاماً ضاراً، وشوه الحس السياسي السليم عند قطاعات واسعة من المجتمع، حتى إذا فوجئ المجتمع، في كل مرة، بالهزيمة، وخاب أمله بنخبه الحاكمة والمتنفذة تولاه الاضطراب واليأس، ومن ثم الانكفاء والعدمية، أو اللجوء إلى العنف الداخلي في صورة أقرب إلى الانتحار، فقد حصل الأمر هذا إبان وبعد ما سميت بنكبة ١٩٤٨، وفيما سميت بنكسة ١٩٦٧ وبعد ذلك في احتلال بيروت ١٩٨٢ وانكسار الجيش العراقي شتاء ١٩٩١ وخروجه من الكويت، واحتلال العراق في ٢٠٠٣، وأحسب أن الإعلام المؤدلج كرس رأياً عاماً يميل إلى نسيان تجارب التاريخ، ونبذ التفكير والتحليل المنطقيين، والركون إلى الاستنتاجات المبسطة والمريحة والتصورات المتفائلة التي لا سند لها من الواقع وحقائق القوة المتحكمة فيه.

بقينا نتحسر على نموذج مفقود، معلق مرة في كهف ماض ليس بوسع أحد لعوامل تاريخية، موضوعية إحياؤه. وضائع مرة في مدار وهمي من المستقبل لا سبيل إطلاقاً للوصول إليه، ولذا فإن الجزء الأكبر من إعلامنا وثقافتنا، يتداول أكثر من أي شيء آخر كلمات من قبيل "يجب، ينبغي، يفترض، لابد، الخ" في صناعة خطاب إعلامي وسياسي وثقافي فضفاض يقول كل شيء، ولا يقول أي شيء في الوقت نفسه، خطاب مخدر للعقل والجسد، ومشوه للروح.

يخلق الإعلام المؤدلج حساسية مضادة للتجربة الديمقراطية مكرساً سلوكاً لا ديمقراطياً بامتياز، فمشكلة "عدم تقبل الرأي الآخر" أو "افتراض خطئه وسوء نيته المبيتة حتى قبل الاستماع إليه" بعدها عادات ذهنية سيئة قد آلت إلى إشاعة روحية رفض كل ما هو مختلف، والتمرد على كل ما هو جديد. ويبدو أن التنوع الكبير الحاصل في مصادر المعلومات، وقنوات الإعلام لم يفض دائماً إلى توسيع مدارك المتلقين، وتفهمهم للآراء المختلفة بقدر ما جعل بعضهم ينكفئون أكثر على ما عندهم، بعدما وجدت مصادر وقنوات تغذي يقينياتهم بشكل أكثر فاعلية. وهناك فئات واسعة من المجتمعات العربية لا تقرأ أو تشاهد أو تسمع إلا صحفاً وقنوات تلفازية وإذاعات بعينها تشبع عندها غرورها وتطمئنها على قناعاتها السابقة لتضعف عندها بالمقابل روح المراجعة، والملكة النقدية.

ليس صحيحاً أن الإعلام الرسمي لا يصدقه أحد، ففي مجتمع مغلق يعيش في ظل نظام استبدادي، ويتلقى المعلومات من مصدر إعلامي واحد، مقنن وممأسس، تتم عملية غسيل أدمغة فعالة، وتتربى أجيال على مقولات وشعارات ومفاهيم ذلك النظام، أو بالأحرى على ما يترشح عبر الترويج لآيديولوجية ذلك النظام، ولا سيما مع عدم وجود مصادر بديلة، يمكن أن تطرح أفكاراً أخرى، أو صياغات أُخر للمعلومات، أو رؤى مختلفة للواقع ومعطياته. ومع شيوع ظاهرة الخوف المعمم تُكمم الأفواه، ويتردد من لا يصدق أن يخبر أحداً، وحتى أقرب المقربين إليه، بأن ما يقوله الإعلام الرسمي ما هو إلا كذب وهراء، أو في الأقل أن فيه نقصاً وثغرات. ويكون أكثر المتأثرين بطروحات الإعلام الرسمي هم من صغار السن والمراهقين، فمثل هذا الإعلام الذي يخاطب الانفعالات والعواطف بلغة مبسطة مسطحة، يجد في العقول الساذجة، التي مورست ضدها سياسات تجهيل وتغبية، أرضية خصبة. وأظن أن واحداً من أسباب انتعاش التطرف والإرهاب في المجتمعات العربية هو نتيجة ذلك لما ظل الإعلام الرسمي الثوروي يضخه من وجهات نظر وأفكار لتعبئة الرأي العام ضد أعداء مفترضين أو حقيقيين يتربصون بالعباد والبلاد. وغالباً من أجل إبعاد الأنظار عن المشاكل الداخلية وفشل نظم الحكم في تحقيق التنمية والتقدم، والرغبة المرضية في الاستمرار بالسلطة.

إن ما جرى مع المتلقي العراقي بعد ٢٠٠٣/٤/٩، في سبيل المثال، أنه وللمرة الأولى، منذ عقود كسر الحواجز التي حبسته، وحبست ذهنه، ومنعت عنه التدفق الحر للمعلومات والأفكار.

وهذا ما قاد كثيراً من الإعلاميين، وغير الإعلاميين إلى إنشاء قنوات إعلامية جديدة حتى بدا مشهد الإعلام، عراقياً، في حالة منفلتة من الحرية، وأكاد أقول من الفوضى. فقد حدث هذا كله من غير تخطيط عقلاني، واستثمار رشيد للموارد الإعلامية المتاحة، ومن غير رؤية واضحة للوظيفة الإعلامية في العراق الجديد. وصار الإعلام سبباً، أو أحد الأسباب، في ديمومة انفلات الشارع العراقي وفوضاه، وفي جعل الأناس الاعتياديين (الذين يشكلون الأغلبية المطلقة من الشعب العراقي) في حالة من الحيرة والذهول. وما بدا للوهلة الأولى أنه حوار ديمقراطي، عبر قنوات الإعلام، لم يكن في الأغلب الأعم سوى مزاودات لفظية على القضايا الأساسية، وادعاءات ليس لها حظ من المنطق والعقل، وديماغوجية مضحكة مبكية أنعشت الثقافات الفرعية، أي الخطاب العشائري والطائفي والشوفيني لتقوض بالمقابل مقومات الخطاب الوطني وخطاب الدولة العراقية كرهان حضاري، لا بديل له، في المعضلة العراقية الحالية.

تحرير من بالضبط؟

فرح الشمري

مشهد سقوط صنم الطاغية

عندما حل علينا شهر نيسان بدأت جاهدة في محاولة تذكر تلك الفرحة التي انتابتنا عند حلوله عام ٢٠٠٣ .

شعور بسيط وجميل انتابني عند ترقب نتائج "حرب التحرير" وقتذاك ولكن الآن وبعد مرور اربع سنوات على ذلك النيسان اصبحت هناك حقيقة مؤكدة بالنسبة لي وبالنسبة الى كل العراقيين وهو انه من المستحيل ان ننسى شهر نيسان.

هو الشهر الذي بدأت فيه رياح الديمقراطية الشمالية الموعودة تهب علينا من جانب الكرة الارضية الآخر. وهو الشهر الذي احس فيه العراقيون بأن احزانهم ستنتهي من بعد ان لم يكن لها اول ولا آخر. وهو الشهر الذي بدأت فيه وعود المستقبل الأخضر تنهال عليهم كشعب دون اخر. وهو الشهر الذي بدأ فيه الاهتمام الارهابي العالمي يتوجه نحوهم دون الاخر فكان الشهر الذي بدأوا يفقدون فيه ابناءهم الواحد تلو الآخر بسبب حرب اطلقت عليها الولايات المتحدة الامريكية اسم "حرب التحرير" فهل كانت حربا لتحرير الشعب العراقي؟ ام كانت حرباً لتحرير الزمرة الحاكمة من مناصبها بصورة رسمية واعطاء المهمة المنوطة بهم اصلا الى الكثير من ابنائهم بصورة غير رسمية؟

ام كانت حرباً لتحرير افكار ومعتقدات تعتقت بل تعفنت داخل عقول فئات من البشر. تحررت الآن وصبت على رؤوس الملايين من الشعب العراقي الصبور الاعزل؟

ام كانت حربا لتحرير الحدود العراقية الطبيعية من حراسها ومفتشيها وجعل العراق ساحة طبيعية لمواجهة كل ما هو غير طبيعي وغير معتاد؟

ام كانت حربا لتحرير كل مجرم ومنحرف عجز عن ممارسة هواياتة في العهد السابق فها هو يمارسها الان وحسب سياسة مفادها ان الاحرار يتمتعون بحرية ارتكاب الاخطاء ؟

ام كانت حرباً لتحرير الآف العصابات والمافيات التي كانت محتجزة داخل مصباح سحري دولي واحتاجت الى مسحة امريكية ولو بسيطة لتتحرر من مصباحها وتمارس اعمالها وهواياتها التي انتظرت سنين طوالاً للقيام بها؟

ام كانت حربا لتحرير مصالح ستراتيجية خجلت الولايات المتحدة الامريكية من الافصاح عنها طوال سنين مضت وها هي تفصح عنها الان وبكل "حرية" ممكنة وغير ممكنة؟

ام كانت حربا لتحرير مفاهيم جديدة لمصطلحات معروفة المفاهيم فبعد ان كان مصطلح الديمقراطية مصطلحاً ذا مفهوم يعني حكم الشعب للشعب او تعبير الفرد عن رأيه بكل حرية واطمئنان وعدم خوف اصبح الان في وقتنا هذا وعلى سطح عراقنا هذا مصطلحا جديدا ذا مفاهيم جديدة لم يسمع بها احد في هذا العالم من قبل اذ ان الديمقراطية تعني في العراق الآن تعبير اي فرد عن آرائه ومشاعره ورغباته وطموحاته ودواخله بكل حرية واطمئنان وعدم الخوف في اي مكان يراه ملائما وفي اي وقت يجده مناسبا .فكانت حرباً لتحرير الارواح التي تسكن مطمئنة داخل الاجساد واطلاقها في ملكوت السماوات والارض محتارة متسائلة عن الجرم الذي اقترفت وعن الخطيئة التي ارتكبت؟

ام كانت حرباً لتحرير قوة ارادة وصبر وايمان لم يعرف لها العالم مثيلا من قبل؟.

لقد كانت حرباً لتحرير من بالضبط؟